الفصل الرابع عشر
"مطاردة"

استيقظَت جنة في الثامنة صباحًا، وكعادة شباب هذه الأيام، كان أول ما بحثَت عنه بيدِها بعينين نصف مفتوحتين هو هاتفها، وما لبثَت أن اتسعت عيناها دهشة حتى ما رأت عشرة اتصالات من صديقتها في البارحة، ولا بد أنها قد غفَت بعد مكالمة هشام، وكان هاتفها على وضع الصامت؛ فما كان لصديقتها سوى ترك رسالة لها فحواها أن لديهم امتحان منتصف الترم في هذا الصباح في تمام التاسعة، وتُقدّم اعتذارها لأنها نسيَت أمر إخبارها.

وثبَت جنة من فراشها في محاولة لالتقاط أنفاسها المتسارعة من الخضّة، وبينما كانت تُخرِج ملابسها على غير هدى من خزانتها، تذكّرَت تحذير هشام من خروجها من المنزل "طب هعمل إيه دلوقتي؟! لو قولتله مش هيرضَى، وأنا كده امتحاني هيروح عليّا، مش معقول بعد كل ده الترم يضيع عليّا، ده فاضل على الفاينال ٣ أسابيع.. لا لا.. لازم أروح".

وقرّرَت أن تخرج من المنزل، ووالداها ما زالا نائمين، زاعمة أنها ستتدارك غضبهما حينما تعود، وأنه على كل حال الامتحان سينتهي في العاشرة، وبإمكانها العودة قبل استيقاظهما إن حالفها الحظ.

تجهّزَت جنة، وأخذت حقيبتها، وتسلّلَت خفية على أطراف قدميها حتى خرجت من المنزل، وبعدما تأكدت أنه ليس هناك من يراقبها سارت بخطًى

واسعة مخفيّة تحت الأشجار أمام المنازل، حتى ابتعدت عن شارعها واستقلّت الميكروباص منطلقة إلى جامعتها.

وصلَت جنة كليتها، واتجهَت رأسًا إلى قاعة محاضرتها حيث يُقام الامتحان، حينذاك كان يقف زملاؤها أمام القاعة المغلقَة في انتظار بدءِ الامتحان، سمعَت جنة صوت هدير صديقتها تناديها وهي تقترب منها:

- الحمد لله إنك شُفتي رسالتي.. ماكُنتِيش بتردي ليه؟

ردت جنة وهي تلهث:

- معلش معلش، الموبايل كان سايلنت.

بعد مرور ساعة، كانت العاشرة تمامًا؛ حينما استيقظت منال وأدت فرضها، وراحت تفتح النوافذ ليدخل نور الشمس إلى البيت بدفئه المعهود، ثم مضَت نحو غرفة جنة لتوقظها حتى تحضّر الفطور، فتحت باب غرفتها بعفوية تردّد وهي تفتح النافذة:

- چيچي! يلّا يا حبيبتي اصحي ه...

صمتَت فجأة ما إن وجدت سريرها خاليًا؛ فتوقعت وجودها في الحمام، لكنها تأكدت فيما بعد من خلوه.

أدركها الفزع وراحَت تبحث عنها بكل مكان، لكنها لم تجدها؛ فدلفت إلى زوجها الذي كان لتوّه يُسلّم من صلاته، وأبلغته لاهثة:

- الحَقْ يا طارق.. جنة مش في البيت.

نهض الرجل وأمارات الخوف تمكّنَت من ملامحه صائحًا:

- يعني إيه مش في البيت؟! هتكون راحت فين يعني على الصبح!

- مش عارفة.. طب رِنّ عليها كده.

أخذ والدها يتصل بها لكن ما من مجيب، ثم اتّصلَت منال على أختها تسأل إن كانت ذهبَت إليهم، لكن جوابها ما كان يغني ولا يُسمِن من جوع؛ فهتفت منال وهى تذرع الغرفة جيئة وذهابًا:

- يعني إيه؟ بنتي اتخطَفِت؟!

رد طارق محاولًا تطمينها:

- اهدي بس يا منال، هتتخطِف ازّاي من بيتها يعني واحنا مش حاسِّين!

- ماليش دعوة، اتصل بالظابط ده يشوف بنتي حصل لها إيه.. أنا عايزة بنتي... اتصرفوا.

كان هشام يقود سيارته في طريقه إلى عمله حينما أتاه اتصالًا من طارق، بدَت علامات التعجب على وجهه، وردَّ مسرعًا ليسمع صوتَ طارق الفَزِع يخبره بما حدث؛ فهتف هشام بعصبية:

- يعني إيه مش لاقينها؟! طب فيه أي آثار هجوم أو باب مكسور؟

- لا لا أبدًا، مامتها مالقِتْش غير هدومها و...

- كلامك مالوش غير معنى واحد يا باشمهندس طارق، إنها خرجت بإرادتها.. اللي هيخطفها مش هيستنّاها تغيّر هدومها، اقفِل حضرتك وأنا هتصرف.

أغلق معه هشام واتّصل على سعيد هاتفًا بحنق "رد يا غبي"، وما إن وصله الرد حتى صاح بسخط:

- انتَ نايملي يا بيه! والزفت التاني فين؟

- آسفين يا باشا، احنا بس غفِّلنا شوية كنا...

- كنتوا إيه وهباب إيه، البتّ خرجت ومش عارفين راحت فين، حسابكوا معايا بعدين.

وأغلق الخط مطلقًا أذنابًا من السباب.

مضَت نصف ساعة من تحرياته، في تلك الأثناء خرجَت جنّة من الجامعة، وما كادت تخطو خطوة خارج البوابة الرئيسية حتى فُوجِئَت بيد قوية تجذبها من ذراعها بعنف، اتسعت عيناها فزعًا، وأوشكَت على الصراخ لكنه أطبق بيده على فمها.. النبض يتسارع والأدرينالين يتدفق بغزارة، حتى اطمأنّ قلبها قليلا لرؤية هشام، لكنها أدركَت في قرارة نفسها أنّها في مأزقٍ معه الآن، وما من مخرج، جاءت نبرة هشام حاملة لغضب جامح:

- انتِ ازّاي تخرجي من غير ما تقولي لحد؟! أنا مش نبّهت عليكِي ماتعتّبيش برة شقتكُوا؟!

ازدردَت ريقها بصوت مسموع، تحبس أنفاسها، تفكر في حل سريع؛ فتصنّعَت القوة، وجعلت تصيح بوجهه:

- انتَ اللي ازّاي تمسكني كده؟ أنا مش هضيّع مستقبلي عشان أسمع كلامك وآخد منك الإذن عشان أتنفّس.

كان يحدّق بها بشراسة، وقد احتل الغضب ملامحه فبدا مخيفًا، وقال بهياج:

- جنة! ماتبتديش.. اتفضلي معايا يلّا!

رمقته جنة من رأسه إلى أخمص قدميه، شهقت وقالت:

- لا طبعًا، ماينفعش أركب معاك.

رمقها بغيظ صائحًا:

- أنا مش باخد إذنك.. اتفضّلي بالذوق أحسن.

قاطعهما أحد رجال أمن البوابة قائلًا بصوت رخيم:

- فيه حاجة يا آنسة؟ إيه يا أستاذ مالَك بالآنسة؟!

زم هشام فمه بنفاد صبر، وسحب الرجل ضاغطًا على ذراعه بسخط يقول من بين أسنانه بغلٍ ونبرة تحذيرية خافتة:

- أمن وطني، أحسَنْلَك تروح تشوف شغلَك.. مفهوم!

هز الرجل رأسه عدة مرات بالإيجاب يحييه تحية عسكرية مردّدا: "حاضر يا باشا.. اللي تشوفه يا باشا"؛ فتركه هشام وعاد إليها قائلًا بحدة:

- نمشي؟!

عقدت ذراعيها أمامها بتصميم ورفعت ذقنها تطالعه بكبرياء وعناد تقول بإصرار ضاغطة على كلمتها:

- لا.

لوَى شدقيه ينظر إلى الأعلى محاولًا تهدئة أعصابه، يبعد طرفي سترته كاشفًا بذلك عن مسدسه المعلق ببنطاله في حركة تهديدية، ارتبكَت قليلًا، وأنزلت ذراعيها تشيح بهما بتوتر، تُبَلبِل:

- وهو يعني من الرجولة تهدّدني ب.. بمسدسك؟ هو.. هو يعني عشان انت ظابط و...

فاجأها بسحبه لمسدسه بغتَة، وصوّب فرده إلى جهتها في ذات اللحظة جذبها إلى خلفه باحترافية، وبدأ إطلاق النيران من أحدهم، شخص مجهول يرتدي سترة رياضية غامقة فضفاضة خافيًا بها رأسه ووجهه، كان يرقبهما، ولاحظه هشام قبل أن يطلق النار، وفي الوقت المناسب، جذب جنة خلفه حتى أدخلها السيارة وركض خلف الشخص المجهول، حتى ركب سيارة وفرّ بها، عاد هشام إلى سيارته وانطلق خلفه يقتفي أثره، يمرّان بين السيارات بسرعة جنونية، بينما كانت تصرخ جنّة كلما تخبطت، فزِعَة مما يحدث؛ فصاح بها هشام:

- اربطى الحزام!

انصاعت لأمره وهي ترقب ما يحدث باندهاش ورعب جليّان في عينيها، وقلبها المنتفض، بينما واصل هشام قيادته، لكن الحظ لم يحالفه تلك المرة؛ فتكدّسَت الحركة المرورية أمامه واستطاعت السيارة المستهدفة الفرار قبل إغلاق الإشارة، ضرب على المقُود بحنقٍ ضاغطًا على البوق بقلة حيلة وانزعاج بالغ.

كانت جنّة تضع يدها على قلبها وتنهّدت بعمق تحمد الله على نجاتيهما من تلك الحوادث التى كادا يفتعلانها، التقط هشام اللاسلكيّ هاتفًا:

- محمود.. محمود!

- هشام بيه، مع حضرتك!

- هديك رقم عربية تعرفلي صاحبها فورًا.

- عُلم وينفذ يا فندم.

فتحت الإشارة وانطلق هشام زافرًا إلى منزل جنّة وهو يصيح بها:

- عجَبِك كده.. يا رب يكون العرض عجَب سيادتك!

قالت بتجلجل:

- أنا.. أنا ماكنتش أعرف..

رمقها شزرًا، وأردف بغضب يتأجّج بعينيه المُحمرتين:

- أنا اللي أقُولُه بعد كده هيتنفّذ بالحرف الواحد، وإلّا قسمًا بالله لأكون حابسك!

خنعَت جنة في مقعدها تبرطِم بسرّها سُخطًا على وضعها.

توقف هشام أمام منزلها بعنف؛ ففتحت الباب ونزلت بانزعاج لا تُلقي له بالًا ودلفت إلى منزلها، وما إن تأكّد من دخولها حتى غادر إلى عمله.

فتحَت جنّة باب منزلها؛ فهرعت إليها والدتها تحتضنها وتوبّخها في آن واحد، فتمتمت جنة:

- ماتقلقيش يا ماما، أنا بخير وآسفة.

توقفَت عن حديثها فقد راعَها رؤية خالتها وأحمد وسارة في المنزل، أدركت أنها بفعلتها تلك أفزعَت الجميع، كان طارق يجلس متصنّعًا اللامبالاة، غضبًا من ابنته، حتى وصل مسامعهم صوت أحمد وكلماته اللاذعة:

- جنة! انتِ مابقتيش تسمعي كلمة لحد، هو ده وقت تعاندي فيه!

صاحت جنة بانفعال:

- أعمل إيه يعني؟! أسقط عشان ترتاحوا.. هلاقيها منّكوا ولا من ال...

توقف لسانها عن إطلاق السباب الذي كانت تنتويه، ربما لأنها مدركة تمامًا بأنها مخطئة، أو يجوز قام قلبها بتبويخها على تلك الفعلة، فجاءت سارة تقول:

- خلاص يا جماعة حصل خير، الحمد لله إنها رجعت بالسلامة.

قالت منال بانزعاج:

- برضه يا سارة ماينفعش ده يتكرّر تاني، احنا كنا هنمُوت من الخوف عليها، ساكت ليه يا طارق؟

رد والدها بمرارة:

- وهتكلم أقول إيه؟ ما أنا خلاص كلامي مابقالوش لازمة ولا بيتعمل بيه.

مضَت جنّة نحو أبيها وربضَت أمامه وأمسكت يده برفق قائلة:

- ما عاش ولا كان يا بابا اللي يكسَرْلَك كلمة، أنا آسفة بجد، ماكنتش عارفة إن كل ده ممكن يحصل، وإن ممكن يكون فيه حد بجد عايز يقتلني.

انتفض والدها والجميع على إثر كلمتها متسائلين؛ فقصَّت عليهم ما حدث باختصار، فضمَّها والدها بجزع، واقترح عليها بأن تدلُفَ حجرتها لتغيّر ثيابها وترتاح قليلًا، بينما يتصل بهشام ويشكره.

*****

طرقَت سارة باب غرفة جنة؛ فأذنت لها بالدخول حالما كانت شاردة الذهن؛ فرمقتها سارة بنظرة خبيثة، يفتر عن ثغرها ابتسامة ماكرة، وأردفت:

- اللي واخد عقلَك يا جميل!

جنة بنبرة تحذير:

- سارة!

سارة باحتجاج:

- لا بقولك إيه.. ماتبتديش.

سرحت جنة بمكان آخر، وارتسم على شفتيها بسمة حالمة ودَمْدَمَت:

- هو كمان قالّي كده النهاردة.

ضحكت سارة قائلة:

- امم، شكله مأثّر قوي.

عادت جنة من سرحانها بجفلة، وقالت:

- مفيش فايدة أنا عارفة.

جلست سارة أمامها غير مبالية تقول ضاحكة، وقد تأجّج بها الفضول:

- طب سيبِك من الكلام ده، واحكيلي كل اللي حصل بالتفصيل الممل.

رمقتها جنة بنظرة مطولة، ثم بدأت تسرد عليها ما حدث بينها وبين طاووس الأمن الوطني، كانت تستمع إليها سارة بإنصات يمتطّ فمها بابتسامة عريضة إلى أذنيها؛ مما جعل وجنتَي جنة تلتهب خجلًا، ولاح البريق بعينيها حينما كانت تحكي لها عن مكالماتهما ورسائلهما في الأيام السابقة، وبينما أوشكَت على الانتهاء من حديثها حتى انتفضا لصوت أحمد الذي كان يقف معهما على عتبة الباب الموارب دون أن ينتبها إليه:

- الله الله! كل ده وأنا آخر مَن يعلم.

أجفلت جنة لذلك، وأطبقت جفنيها، ثم قالت:

- والله حرام اللي بتعملوه فيّا ده، انتوا الاتنين عليّا..كده كتير.

أحمد بتوعد:

- وهو انتِ لسّه شُفتي مني حاجة، وربنا لأوريكي.

أشهرت سبَّابتها في وجهه قائلة بنبرة تحذيرية:

- أحمد، إياك الكلام ده يخرج برّة، احنا بنهزّر أصلًا.

- ومن امتى وأنا بقول حاجة لحد؟ بس برضه هورّيكي.. تخبّي عليّا أنا!

قال جملته بينما كان يرقِّص حاجبيه توعّدًا، كادت ترد، لكن أسكتها صوت رنين هاتفه؛ فقال بمكر:

- ده مالِك.

اتسعت عيناها متسائلة:

- هو عرف اللي حصل؟

أومأ أحمد برأسه بتشفٍ، ثم رد:

- ألو.

- أيوَه يا أحمد، جنة رجعت؟

- آه، هنا أهيه، هي أصلًا ماكانِتْش برّه، دي كانت عند الجيران..

- لا يا شيخ؟ بتداري عليها! أنا عرِفْت كل اللي حصل لحد ما الظابط رجّعها، وقولّها إن حسابها معايا لما أرجع.

- احم.. طيب خلاص ماشي هسلملَك عليها.

لم يستمع إليه أخوه وأغلق الخط، بينما نظرات جنة اليائسة كانت تتشبث به طلبًا لمعرفة ما قاله.